سجاد الأناضول

للدكتور محمد مصطفى

سجاد « دمشق »

اشتهر هذا النوع من السجاد باسم tappeti damacini ، أي « سجاد دمشق » ، لأن زخارفه تماثل زخارف ألواح القاشاني المشهورة باسم « دمشق » . ولكن علماء الفن الإسلامي يقولون إن دمشق لم تشتهر بصناعة السجاد ، وهم لذلك يرجحون أنه كان يجمع في هذه المدينة لشهرتها كمركز تجاري ، ويعد بها للتصدير إلى أوربا . والرأي السائد هو أنه كان ينسج في مناسج خاصة بالبلاط العثماني أنشأها السلطان سليمان القانوني بجهة قريبة من القسطنطينية مثل مدينة بورصا ، وأحضر إليها صناع السجاد من مصر وإيران . ويتضح مما تراه في طريقة نسج زخارفه النباتية من الدقة التامة والعناية أنها منقولة عن رسوم وتصميمات وضعت لها من قبل .

ونلاحظ في هذا السجاد أن الزخارف النباتية الإيرانية التي استعملت فيه قد تطورت إلى درجة كبيرة ، ودخلت عليها عناصر جديدة جعلتها كثيفة وغنية ، فتبدو كأنها تحاكي الطبيعة إذا نظر إلى كل وحدة منها على حدة ، ولكنها تظهر في مجموعها مهذبة وشديدة الكثافة . ويتبين هذا في أشكال المراوح النخيلية الكبيرة ، وفي تموجات الأوراق الملتوية ذات الأسنان ، وفي الأغصان والفروع المثقلة بالزهور ، وفي الطريقة الزخرفية التي ترسم بها زهور النرجس والسوسن والقرنفل . وتنسج هذه الزخارف باللون الأصفر أو الأبيض على أرضية بالأحمر أو الأزرق ، والألوان الأخرى المستعملة فيه هي الأخضر والأسود

وينسج سجاد دمشق من صوف ماعز الأناضول اللامع ، أو من الحرير . وللسجاد المنسوج من الحرير خصائص أنواع سجاد الأناضول الأخرى المنسوجة من هذه المادة ، أي أن لحمته تصبغ باللون الأخضر ، وكذلك السداة إذا كانت من الحرير أيضاً

وفي « شكل ١ » بساط من سجاد دمشق أرضيته باللون الأحمر عليها بالأصفر والأبيض والأزرق المائل إلى الاخضرار زخارف نباتية وفروع متشابكة وكثيفة بأوراق مسننة كبيرة مرسومة في أوضاع متناظرة « سيمترية » . وهذا البساط من أواخر القرن السادس عشر ، وهو في مجموعة دار الآثار العربية

(شكل ١)

سجاد « ترانسلفانيا »

عثر هواة السجاد في أواخر القرن الماضي على عدد كبير من نوع خاص من سجاد الأناضول كان محفوظاً في خزائن كنائس مدينة كرونستاد بمقاطعة ترانسلفانيا ، فعرف هذا النوع باسم « سجاد ترانسلفانيا » ، ويعلل وجود عدد كبير منه في مدينة كرونستاد أن رجال الكنيسة في هذا البلد كانوا يتقاضونه بمثابة مكس من تجار السجاد القادمين من الأناضول كي يسمحوا لهم

بالمرور إلى غرب أوربا . وكان هذا السجاد يستعمل فى الكنائس البروتستانتية بترانسلفانيا لتغطية كراسى الصلاة ، وكان أفراد العائلات يتوارثونه جيلاً بعد جيل .

ونجد سجاد ترانسلفانيا مصوراً فى اللوحات الأوربية المرسومة فيما بين سنتى ١٥٢٠ و ١٧٠٠ . والغالب أنه كان ينسج فى جهات قونية أو لاذق كما يتبين من متانة نسيجه وكثافته ، وقد انقطعت صناعته منذ منتصف القرن الثامن عشر

وهذا السجاد متشابه فى رسومه ، ففى وسط أرضيته ترى عقد محراب أو عقدين متقابلين ، وتواشيح العقود مزينة بفروع متشابكة بسيطة مرسومة بطريقة هندسية يمتاز بها نوع ترانسلفانيا ، أو بزهور فى شكل تروس وأوراق بسيطة مسننة . ويزخرف الإطار بزهور كبيرة غريبة المنظر يتدلى من جانبى كل منها ورقتان مسننتان يجعلانها تشبه شكل الجمران ، أو يمناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية يتفرع من جانبى كل وحدة ما يشبه الخطاف

وألوان سجاد ترانسلفانيا زاهية ويغلب فيه اللون الأحمر الأحمر الزاهى والأزرق الفاتح والأزرق القاتم والأصفر السمنى والبنى المائل إلى اللون الأسود الذى يحصلون عليه باستعمال مرارة الحيوانات فى الصباغة

واللحمة والسداة من الصوف ، ولا تزيد مقاساته عن عن ١٫٢٠ × ٢٫٠٠ متراً

وفى « شكل ٢ » سجادة صلاة من نوع ترانسلفانيا ، عليها محراب بعقد مدبب تتدلى منه مشكاة ، وأرضية المحراب باللون الأصفر السمنى ، عليها بالأبيض والأحمر الفاتح والأزرق الزاهى فروع مزهرة متشابكة فى وضع هندسى متناظر سيمترى . وخاصرتا عقد المحراب باللون الأزرق القاتم وعليها بالأحمر فروع متشابكة مرسومة بشكل هندسي تظهر كأنها متشجرة . وإطار هذه السجادة يتألف من شريطين على شكل شرفات متجاورة بالأحمر والبنى الأسود ، بينهما شريط عريض عليه مناطق نجمية بداخلها وحدات زخرفية هندسية يتفرع من جانبى كل وحدة ما يشبه الخطاف من النوع الذى يمتاز به سجاد ترانسلفانيا . وزخارف الإطار مقطوعة وغير متصلة كما يتبين ذلك فى الركن الأعلى الأيمن وفى الجانب الأسفل من الإطار ، وهذا النقص يمتاز به سجاد الأناضول ، لأن الصناع الأناضوليين — بعكس الصناع الإيرانيين — لم يتقنوا نسج الإطار المتصل الزخارف . وهذه السجادة من أواخر القرن السادس عشر ، وهى فى مجموعة المسيو بنسيلوم

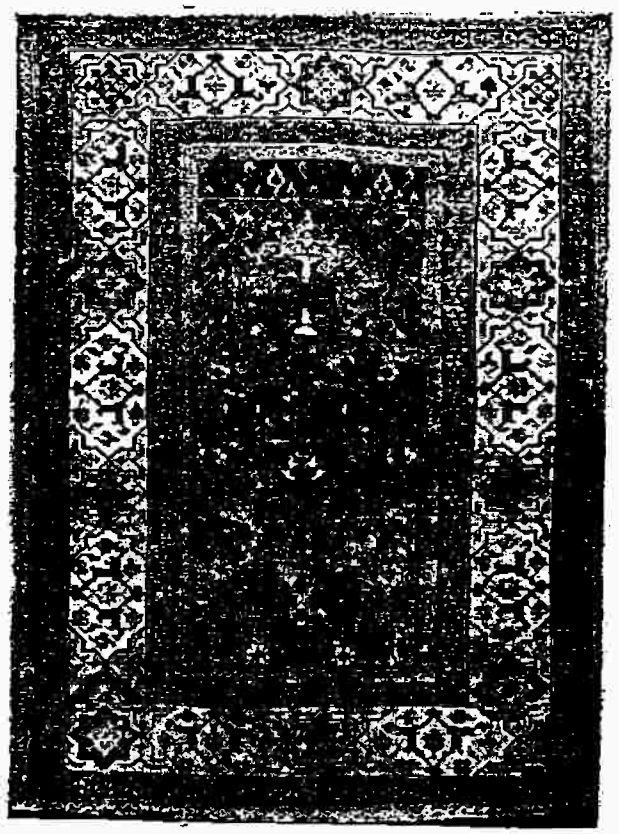

(شكل ٢)

سجاجيد الصلاة

تمتاز سجاجيد الصلاة بالمحراب الذى يحدد عليها بخطوط واضحة وبألوان تتباين مع الألوان المحيطة به . وعقود هذه المحاريب لها أشكال كثيرة ، فهى ترسم بخطوط مستقيمة أو مدرجة أو متموجة ، وتكون مدببة الشكل أو مفرطحة أو على شكل حدوة الحصان . وقد يكون المحراب عقد واحد أو عقدان أو ثلاثة عقود . ولكل بلد ينسج فيها السجاد طراز خاص بها لعقد المحراب ، حتى أنه يمكن غالباً الاستدلال على مكان نسج السجاد من شكل عقود محاريبه .

وقد تزخرف أرضية المحراب فتتدلى من العقد مشكاة

أو أبريق أو باقة من الزهور أو فرع طويل مزهر ، وأحياناً تنتشر عليها زهيرات صغيرة فيسميها تجار السجاد « سينكلي » أي بالذباب

وترتكز بعض عقود المحاريب على أعمدة تكون فى السجاد القديم مطابقة للشكل المعمارى ، ثم تتطور هذه الأعمدة حتى تصبح فى شكل فروع مزهرة تتدلى من العقد بدلاً من أن تكون دعامة له يرتكز عليها

وتزخرف تواشيح خواصر هذه العقود بفروع نباتية شديدة التهذيب ، أو بزهور مرصوصة فى صفوف منتظمة

أما إطار هذه السجاجيد فإنه يتألف من ثلاثة أشرطة يكون الأوسط منها عريضاً ، أو من عدة أشرطة رفيعة بيضاء وسوداء عليها نقط فى مسافات متساوية فتسمى (شُبُكلى) لأنها تشبه غابة « الشبُك »

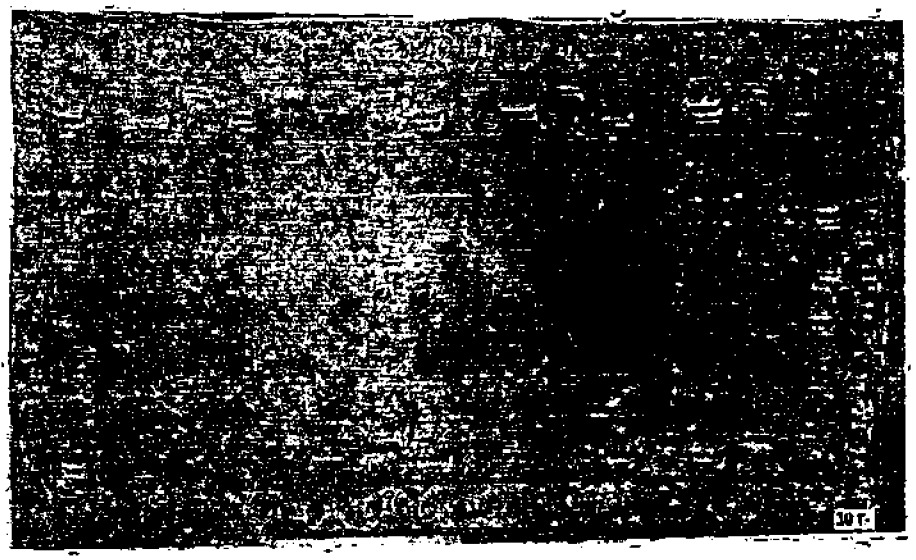

(شكل ٣)

ومن بين أنواع سجاجيد الصلاة نوع يسمى (صف) ينسج فى جهات متعددة من مراكز نسج السجاد بالأناضول ، ويرسم عليه (صف) واحد أو أكثر من صف من المحاريب المتجاورة ، لتأدية الصلاة جماعة . وهذا النوع ينسج غالباً فى الأناضول وفى بلاد التركستان الصينية . ومحاريب القديم منه متماثلة فى السجادة الواحدة ، ولكنها تختلف من حيث اللون والزخارف فى كل سجادة من السجاد المنسوج بعد أواخر القرن الثامن عشر

وثمت نوع آخر من سجاجيد الصلاة يسمى (تربه لك) أو (مزار لك) ترسم على أرضية محرابه شواهد قبور أو مدافن بها أشجار سرو . ويستعمل هذا السجاد لفرش المقابر أو لتغطية نعش الموتى

جوردیز

تقع مدينة جورديز فى الجهة الشمالية الشرقية بالقرب من أزمير ، وإليها ينسب السجاد المعروف بهذا الإسم

ويرسم محراب هذا النوع عادة فى وسط السجادة تماماً ، فتصير مقاساته بذلك أقصر منها فى الأنواع الأخرى . وتعلو المحراب حشوة عليها زخارف قائمة بذاتها تختلف عن الزخارف الأخرى فى السجادة ، وترسم فى أسفله حشوة أخرى مماثلة لهذه

وتلون أرضية المحراب غالباً بلون واحد أحمر أو أخضر أو أزرق أو أصفر وأحياناً باللون العاجى . وهذه الألوان تكون دائماً خفيفة وباهتة

وتنسج سجاجيد الجوردين من نسج ضيق محكم يزيد فى دقة الرسم . واللحمة والسداة فى السجاد القديم من الصوف ، وفى بعض السجاد المتأخر تكون السداة من القطن

وتعرف بعض سجاجيد هذا النوع باسم « قيز جورديز » أي جوردیز الفتاة . ويقال إن هذا السجاد كان ينسجه البنات ويمنون بنسجه عناية كبيرة بقصد إهدائه إلى أزواجهن عند ما يتزوجن . وتتألف زخرفة الإطار من مثلثات فى وضع مختلف ، ترتكز على قاعدتها أو على إحدى زواياها وتزخرف بزهوز مهذبة ويفصل بين هذه المثلثات أشرطة عريضة بيضاء عليها نقط سوداء موزعة بنظام وتنسيق . ويوجد نوع آخر من سجاد قيز جورديز ينسب إلى كبير من العظماء اسمه « قرا عثمان أوغلو » تكون أرضيته دائماً بالأبيض وهو دقيق فى رسومه

ويرجع إلى عصر السلطان عبد المجيد (١٨٣٩ — ١٨٦١) سجاجيد أرضيتها باللون الأبيض عليها شجرة سرو أو شجيرات مورقة ، وزخارفها متأثرة بالزخارف الأوربية

وفى (شكل ٣) سجادة صلاة « صف » من نوع جورديز عليها خمسة محاريب بجانب بعضها ، أرضيتها بالتوالى من اليمين إلى اليسار باللون الأصفر السمنى الغامق والأحمر الباهت والأزرق